

الخرائج والجرائح

[1010] لهم [ذلك] (1) مع فرط الذكاء وجودة الذهن ؟ وهذا من قبيح الغفلة التي

ينزه القوم عنها ، ووصفهم ا ب بخلافها . وليس يورد مثل هذا الاعتراض من موافق في إعجاز القرآن ، وإنما يصير إليه من خالفنا في الملة ، أو أبهرته (2) الحجة ، فيرمي العرب بالبله والغفلة ، فيقول: لعلمهم لم يعلموا أن المعارضة أنجع (3) وأنفع ، وطريق الحجة أصوب وأقرب ، لانهم لم يكونوا أصحاب نظر وفكر ، وإنما كانت الفصاحة صنعتهم ، فعدلوا إلى الحرب . وهذا الاعتراض إذا ورد علينا كانت كلمة جماعتنا واحدة في رده ، وقلنا في جوابه : إن العرب إن لم يكونوا نظارين ، فلم يكونوا غفلة مجانين ، وته العقول (4) أن مساواة (5) التحدي في فعله ومعارضته بمثله ، أبلغ في الاحتجاج عليه من كل فعل ، ولا يجوز أن يذهب العرب الالباء عما لا يذهب عنه العامة والاغبياء . والحرب غير مانعة عن المعارضة ، وقد كانوا يستعملون في حروبهم من الارتجاز ما لو جعلوا مكانه معارضة القرآن كان أنفع لهم . وهذا كان في جواب من جعل ذلك كفهم عن المعارضة . باب في مطاعن المخالفين في القرآن قالوا : إن في القرآن تفاوتاً كقوله : (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) (6) ففي هذا تكرير بغير فائدة فيه لان قوله " قوم من قوم " يغني عن قوله " نساء من نساء " فالنساء يدخلن في قوم ، يقال : " هؤلاء قوم فلان " للرجال وللنساء من عشيرته ؟ الجواب : إن " قوم " لا يقع في حقيقة اللغة إلا على الرجال ، ولا يقال

_____ (1) من البحار . (2) " وأبهرته " البحار . (3)

أنجع : افلح . (4) وتها ، تهوا أي غفل . (5) " مسألة " البحار . (6) سورة الحجرات : 11 . [*]
